ملخص مقـــال

دراسة مقارنة عن الانتاجية الصناعية في انكلترا ، فرنسا والمانيا

الدكتور حسن على سليمان *

يهدف البحث المرفق باللغة الانكليزية الى تقديم دراسة مقارنة عن الانتاجية فى بعض الدول الصناعية وعلى وجه الخصوص انكلترا وفرنسا وألمانيا ، لنتعرف من خلال ذلك على العوامل التى أثرت على التطور الصناعى وتبيان أسباب تباطؤ انكلترا بالمقارنة بمنافساتها من الدول الاوروبيـــة الاخـــرى • فتـــاريخ أوروبا الاقتصادى ، وخاصة فى السنوات الاخيرة ، يعكس لنا حقيقة هامة الا وهى توسع الهوة فى الكفاءة أو المقدرة الاقتصادية بين انكلترا من جهـــة والمانيـــا وفرنســـا والولايات المتحدة من جهة أخرى • وهذه الحقيقة لا تقتصر على العقود القليلة الماضية انما تاريخها يعود الى الفترة منذ أواخر سبعينات القرن التاســـع عشر • فأرقام الانتاج الصناعى تشير الى تزايد مستمر وبدرجة كبيرة فى كل من الولايات المتحدة والمانيا خلال معظم السنوات التى سبقت الحرب العالمية الثانية • ففى الوقت الذى ازداد فيه الانتاج الصناعى فى انكلترا بما يعادل ١٩٠٪ خلال الفترة مـــن ٦١ ــ ١٨٦٥ الى ٣٠ ــ ١٩٣٧ ، نلاحظ ان مجموع الزيـــادة فى كل من المانيـــا والولايات المتحدة قد وصـــل الـــى ٤٠٠٪ و ١٠٠٠٪ (من ٦٦ ــ ١٨٧٤ الـــى ٣٠ ــ ١٩٣٧) على التوالى • وبالرغم من أن هذه الفروقات قد تعزى بدرجـــة غير قليلة الى حقيقة ان مستويات الانتاج فى كل من المانيا والولايات المتحـــدة كانت واطئة فى البداية بالمقارنة بانكلترا ، وكذلك الى اختيار سنة ١٩١٣ كسنة أساس حيث ان ذلك يعطينا صورة متحيزة ضد انكلترا ، لكن ذلك لا يبدل كثيرا مـــن

* محاضر فى الاقتصاد بكلية الاقتصاد والتجارة ــ بنغـــازى •

الصورة العامة لتطور الصادرات والانتاجية بطريقة أفضل فى المانيا والولايات المتحدة منها فى انكلترا .

وهذه الظاهرة أثبتتها دراسات عديدة قدمت فى هذا المجال فالاستاذ L. Rostas كان قد قدم دراسة مقارنة عن الانتاجية محسوبة بالوحدات للفرد فى كل من انكلترا ، المانيا والولايات المتحدة خلال الفترة ٣٦ ــ ١٩٣٧ وأبانت هذه الدراسة بأن الانتاجية فى الولايات المتحدة والمانيا كانت ٢٣٨ و ١٠٧ على التوالى على أساس انها تعادل ١٠٠ فى انكلترا . كما وان الاستاذ Marvin Frankil توصل الى نتيجة مقاربة لذلك ، واستنادا الى الاحصائيات الصناعية (Censuses) التى توفرت فى كل من انكلترا والولايات المتحدة فى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ اظهرت الدراسة بأن معدل الانتاجية فى الولايات المتحدة كان ٢٤٤ على أساس انها تعادل ١٠٠ فى انكلترا .

وعليه نلاحظ بأن انكلترا شهدت بداية الثورة الصناعية وكانت الدولة الاولى فى المجال الصناعى بلا منافس . ولكن منذ أواخر القرن الماضى بدأت بوادر انتهاء سيادتها الصناعية ، وظهرت الى الوجود دول صناعية حديثة تمكنت من منافسة انكلترا فى السوق العالمية وهذا الاتجاه استمر وتزايد بتباطؤ انكلترا حتى وقتنا الحاضر . وفيما يلى سنقدم تلخيصا لاهم النقاط بهذا الخصوص ، مؤكدين على الفترة منذ ١٩٥٠

(أ) الفترة ما قبل ١٩٥٠

يمكننا حصر العوامل التى ساعدت على تقدم الدول الصناعية الحديثة بالمقارنة بانكلترا فى ثلاث مجموعات :

١ ــ الدول الصناعية الحديثة كألمانيا والولايات المتحدة (وفرنسا فيما بعد) بدأت ثورتها الصناعية بعد انكلترا . وبهذا فانها كانت فى مركز أفضل من انكلترا اذ تمكنت من استخدام مكائن ومعدات حديثة أكثر كفاءة من تلك التى استمرت انكلترا على استخدامها . وبالرغم من أن التركيب الصناعى فى انكلترا كان فى

تطور وتحول لمواكبة عجلة التكنولوجيا لكنه لم يكن بالدرجة التى تعوض عن المنافع التى كانت قد استفادت منها الدول التى بدأت ثورتها الصناعية فى وقت لاحق •

٢ ــ نمو السكان والايدى العاملة كان أبطأ فى انكلترا منه فى بقية الدول • وهذا العامل مكن بعض الدول وخاصة الولايات المتحدة من استغلال موارد اقتصادية أكبر ، سواء من حيث النوع أو الكمية •

٣ ــ والمجموعة الثالثة من العوامل تتلخص فى الاختلافات فى حجم المشروعات ، نوعية الادارة ، حجم السوق ، وبقية العوامل المتعلقة بتوفر الموارد • وأفضلية أمريكا على انكلترا بهذا الخصوص أمر واضح وكتب عنه الكثير •

(ب) مقارنة الانتاجية خلال الفترة ما بعد ١٩٥٠

نظرا لاختلاف الظروف الاقتصادية بين انكلترا والولايات المتحدة فى كثير من الجوانب ونظرا الى أن نمو الانتاج وانتاجية الفرد لم تكن متباعدة كثيرا بين الدولتين خلال الفترة موضوع البحث ، وحيث ان الدروس والعبر لانكلترا يمكن أن تستقى من الدول الاوروبية الاخرى التى حققت معدلات نمو كبيرة ، لكل هذه الاسباب حصرت الدراسة المقارنة بين انكلترا ، المانيا وفرنسا •

١ ــ مقارنة انكلترا بفرنسا والمانيا :

ان أوجه الشبه بين انكلترا والمانيا هى اكثر منها بين انكلترا وفرنسا • فالاقتصاد الالمانى يتشابه الى حد كبير مع الاقتصاد البريطانى من حيث المساحة والسكان ، وبدرجة أقل التركيب القطاعى • بينما الاختلاف واضح بين الاقتصاد البريطانى والفرنسى فى كثير من الجوانب فمساحة فرنسا تقارب ضعف مساحة انكلترا والسكان العاملون فى الزراعة الفرنسية بلغ ٢٧٪ من المجموع سنة ١٩٥٤ مقابل ٤٫٥٪ فى انكلترا لنفس القطاع خلال نفس العام •

والفرق الرئيسى بين الدول الثلاثة هو أن الزراعة تشكل نسبة كبيرة فى

المانيا وبدرجة أكبر فى فرنسا مما هى عليه الحال فى انكلترا ، سواء من حيث الانتاج أو الايدى العاملة فى مجموع الاقتصاد .

النمو الصناعى ، الايدى العاملة والانتاجية :

حققت كل من المانيا وفرنسا تقدما سريعا ومستمرا فى الانتاج والانتاجية ، بالمقارنة بما حققته انكلترا ، خلال فترة الخمسينات وأوائل السبينات من القرن الحاضر . وتحقيق ذلك فى كل من المانيا وفرنسا يعود الى عوامل مختلفة .

فالنجاح الذى حققته المانيا ارتكز على اتباع سياسة حرة متميزة بتوفير الدوافع للعمل والانتاج . واتباع سياسة أو فلسفة «الاقتصاد الاجتماعى السوقى» "Social Market Economy" التى كانت المحور لتحقيق «المعجزة» الالمانية ، اذ أنها لعبت دورا هاما وديناميكيا فى توسيع الانتاج والمحافظة على استقرار الاسعار . فالتأكيد قد ركز على الانتاج أولا ثم على الاستهلاك . وفى فرنسا ، من جهة أخرى ، فان الاتجاه نحو التخطيط العام الذى بدىء به فى أواخر الاربعينات من هذا القرن لتحقيق أهداف محددة ، كان قد لعب دورا ديناميكيا فى تحقيق التطور الصناعى .

أما فى انكلترا فان التباطؤ فى الانتاج والانتاجية يعزى الى سياسة «الاستمرارية ثم التوقف» "Stop-go-stop" أو «قف ــ سر ــ قف» التى نهجتها الحكومة البريطانية خلال بعض سنى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وفى الوقت الذى نلاحظ فيه أن الانتاج الصناعى فى انكلترا قد ازداد بحوالى ٤٠٪ ما بين ١٩٥٠ الى ١٩٦١ أى بمعدل نمو سنوى (مركب) ٣٪ تقريبا ، بلغت الزيادات لنفس القطاع ٩٧٪ و ١٦٤٪ فى كل من فرنسا والمانيا على التوالى خلال نفس الفترة ، أى بمعدلات نمو سنوية تعادل ٦ر٤٪ و ٢و٩٪ على التوالى . وكان تطور انكلترا متذبذبا وان تباطؤها كان واضحا خلال السنوات ١٩٥٠ ــ ١٩٥٢ و ١٩٥٥ ــ ١٩٥٧ و ١٩٦١ .

أما معدلات نمو الاستخدام فكانت ١ر٥٪ و ٧ر٠٪ و ١ر١٪ فى السنة فى

كل من ألمانيا ، فرنسا وانكلترا على التوالى خلال الفترة ١٩٥٠ ــ ١٩٦١ • والذى تجدر ملاحظته هنا هو انه بالرغم من أن معدل نمو الاستخدام فى فرنسا كان أقل بكثير من انكلترا الا أن عرض العمل فى فرنسا كان أكثر مرونة من انكلترا • وان الايدى العاملة رغم قلة نموها فى القطاع الصناعى لم تولد مضاعفات سيئة على النمو والتطور الصناعى فى فرنسا • اذ أن القطاع الزراعى الفرنسى يعتبر مصدرا مهما لتوفير الايدى العاملة لبقية القطاعات عند الحاجة كما صاحب ذلك زيادة الانتاجية للفرد الواحد • على عكس ما كانت عليه الحال فى انكلترا فقلة مرونة العمل أدت الى ظهور ما يسمى بظاهرة «خزن العمل» فى بعض السنوات مما أثر تأثيرا سيئا على الانتاج والانتاجية فى تلك السنوات • وكان اتجاه الصناعيين ، كلما اتبعت الحكومة سياسة انكماشية ، هو تقليل نسبة الطاقات الانتاجية للمكائن والآلات (وصلت أحيانا الى أقل من ٥٠٪ من الطاقة الكلية) لكنهم مع ذلك كانوا يحتفظون بجزء من فائض العمل ادراكا منهم الى أن السياسة الانكماشية ما هى الا اجراء وقتى • وبهذا الاتجاه كان هناك تبذيرا وسوء فى استغلال الايدى العاملة (الضارة) فى بعض السنوات ، فبدلا من تسريح الفائض كان الصناعيون يفضلون دفع التكلفة بدون مقابل يغطى ذلك • مما يؤدى بالطبع الى ارتفاع التكلفة للبضائع المنتجة وبنفس الوقت تحرم صناعات قد تكون بأحوج ما يكون للايدى العاملة • ليس هذا فحسب انما أدى ذلك الى استمرار ضغط الطلب المحلى على الموارد المحلية (والاستيرادات) المحدودة •

اما معدلات نمو الانتاجية (للعامل فى الساعة) فكانت ٣ر٤٪ و ١ر٥٪ سنويا فى المانيا وفرنسا على التوالى • وفى انكلترا كان معدل نمو الانتاجية معادلا لـ ٦ر١٪ فقط خلال الفترة موضوع البحث •

العوامل المؤثرة على اختلافات الكفاءة الانتاجية :

وتضمن المقال كذلك شرحا مسهبا عن العوامل التى أثرت على الاختلافات فى الانتاجية بين انكلترا من جهة وفرنسا والمانيا من جهة أخرى • ونظرا لتباين الاسباب

التى أدت الى تحقيق الانجازات فى فرنسا والمانيا (بالمقارنة بانكلترا) فانه لم يكن من السهل تحديد العوامل التى أدت الى تباطؤ انكلترا •

ان العوامل التى تؤثر على الانتاجية عديدة ولكنى حصرت الكلام على أهم العوامل التى أدت الى ظهور الاختلافات بين المجموعتين • وفيما يلى سنقدم عرضا سريعا لاهم هذه النقاط •

عرض العمل وأثره على النمو الصناعى :

حققت ألمانيا زيادات كبيرة فى الاستخدام عن طريق الايدى العاملة القادمة اليها من الخارج وبذلك فان المانيا استفادت فائدة كبيرة من أيدى عاملة جاهزة ، وتمكنت من تحقيق «المعجزة» عن طريق توسيع القاعدة الانتاجية ، فاستخدام أحدث المكائن مع مزيد من العمل مكنها من تحقيق زيادات كبيرة فى الانتاج • بينما فى فرنسا ازداد الاستخدام بما يعادل ٧ر٠٪ فقط بالمقارنة بانكلترا التى ازداد فيها الاستخدام بما يعادل ١ر١٪ • لكن مرونة العمل كانت أكبر فى فرنسا منها فى انكلترا وذلك بسبب زيادة الانتاجية بالدرجة الرئيسية ، كما وأنه يمكن سحب جزء من الايدى العاملة فى القطاع الزراعى الى القطاعات الاخرى • ومن ثم فانه بالرغم من زيادة الاستخدام فى انكلترا بنسبة أكبر من فرنسا لكن انخفاض الانتاجية وعدم امكانية الحصول على أيدى عاملة من القطاع الزراعى أو القطاعات الاخرى أدى الى ظهور الندره وعدم المرونة فى عرض العمل فى انكلترا • وانه من الممكن أن تكون الاخيرة قد ساهمت فى ابطاء عملية التطور الصناعى فى بعض السنوات • وهناك بعض الشواهد تشير الى أن بعض الصناعات وخاصة صناعة الآليات وقطع الغيار Machine Tools كان بامكانها ان تحقق زيادة فى الانتاج من طاقاتها المتوفرة لو أن العمل كان متوفرا لديها •

تأثير الاستثمار على الانتاج والانتاجية الصناعية :

حللنا تأثير الاستثمار على الانتاج والانتاجية عن طريق استخدام معايير «رأس المال / الانتاج» و «الاستثمار / الانتاجية» • المعيار الاول يشير الى

كفاءة رأس المال فى توسيع الانتاج عن طريق توسيع القاعدة الانتاجية Capital-Widening • والمعيار الثانى يشير الى تأثير الاستثمار (رأس المال) فى زيادة الانتاجية عن طريق احلال الآلة محل العمل ، أو زيادة استخدام رأس المال مع نسبة أقل من العمل Capital-deepening • وأهمية هذا العامل تظهر جلية فى الدول التى حققت زيادات فى الانتاج مع ثبات أو مع زيادة طفيفة فى الايدى العاملة • وهنا يظهر تأثير التكنولوجيا وأهمية رأس المال فى التطور وفرنسا مثال يعكس لنا هذه الوضعية •

وتفسيرنا للمعيارين اعلاه ينص على انه كلما كانت النسبة واطئة كانت كانت مساهمة رأس المال أكبر فى زيادة الانتاج والانتاجية •

وكانت أهم الاستنتاجات تتلخص فى أن التقدم الصناعى فى المانيا قد ارتكز على زيادة الانتاج بالدرجة الرئيسية وبدرجة أقل على زيادة الانتاجية • أما فى فرنسا فكانت كفاءة الاستثمارات فى مجال زيادة الانتاجية أكبر مما هى عليه فى ألمانيا ، أى أن العمليات الانتاجية كانت موجهة نحو زيادة نسبة معامل « رأس المال ــ العمل» • وفى انكلترا كانت كفاءة الاستثمارات أوطأ فى زيادة كلا من الانتاج والانتاجية بالمقارنة بألمانيا وفرنسا •

ولتلخيص تأثير الاستثمار فى المانيا وفرنسا بالمقارنة بانكلترا نورد باختصار ما يلى :

الاتجاه العام هو أن النمو الصناعى يتناسب طرديا مع معدل رأس المال للفرد الواحد • فالانتاج الصناعى نما ببطء فى الدول التى كان فيها معدل الاستثمار للفرد الواحد واطئا •• وحيث أن هذا المعدل الواطىء لم يكن قد صاحبه زيادة فى الاستخدام وحيث أن الاستثمار الصناعى للفرد الواحد فى انكلترا كان أوطأ مما هو عليه فى المانيا وفرنسا ، فاننا نميل الى الاعتقاد بأن النمو البطىء للانتاج والانتاجية (بالمقارنة بفرنسا والمانيا) كان يعود بدرجة غير قليلة الى هذا السبب (معدل استثمار واطىء مصحوبا بزيادة طفيفة فى الاستخدام) •

يضاف الى ذلك أن مقارنة تأثير الاستثمارات الاجمالية فى الدول الثلاثة

يعطينا صورة أقل كفاءة فى انكلترا مما لو استخدمنا أرقام الاستثمارات الصافية • وهذا يقودنا الى الاستنتاج بأن انكلترا لا تزال تستخدم معدات بالية كان يجب أن تنقرض obsolete لتحل محلها معدات انتاجية أكثر حداثة وكفاءة •

فاستخدام المانيا لمعدات جديدة وعلى نطاق واسع فى توسعها الانتاجى أعطاها أفضلية على انكلترا • واستخدام فرنسا لمكائن جديدة محل السابقة مكنها من زيادة الانتاج عن طريق زيادة الانتاجية بالدرجة الرئيسية •

تأثير العوامل الاخرى :

تأثير السياسة الاقتصادية وميزان المدفوعات

تشير الدلائل الى أن هذين العاملين المترابطين قد أثرا تأثيرا سيئا على التطور الصناعى فى انكلترا •

ففى الوقت الذى نلاحظ فيه أن فرنسا والمانيا (بصورة خاصة) كانتا تتمتعان باطمئنان حول مشكلة المدفوعات ، كانت انكلترا تعانى من أزمة مزمنة (خانقة) فى ميزان مدفوعاتها • فالمجموعة الاولى تمكنت من اطلاق العنان لتوسيع الطلب المحلى بينما انكلترا كانت مجبرة بسبب عجز ميزان مدفوعاتها الى ابطاء استمرارية عدة اتجاهات استثمارية توسعية منذ ١٩٥٠

ترتب على ذلك ضعف المركز التنافسى لانكلترا فى السوق العالمية من حيث السوق والبضاعة Commodity and Geographical Areas مما أعاق عملية التطور الصناعى التى تعتمد فى تطورها على الواردات (على المواد الاولية المستوردة) وعلى الصادرات (فى توسعها وتسديد اثمان الاستيرادات) • وبهذا الخصوص قدمنا بعض الارقام عن الاسعار والتكلفة التى تعتبر السبب فى تباطؤ انكلترا بالمقارنة ببقية الدول الاوربية •